قيمة العمل فى الإسلام

الدكتور

عزت محمد حسن

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالمنصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ... وبعد .

فهذا بحث بعنوان ((**قيمة العمل فى الإسلام**))

ويتضمن الموضوعات التالية :

أولا : دعوة الإسلام إلى العمل وتكريم العاملين .

ثانيا : العمل سلوك الأخيار .

ثالثا : واجبات العامل . ويتضمن العناصر التالية :

١- الإخلاص والأمانة فى أداء العمل .

٢- الحساب والمساءلة .

٣- الوفاء بالعقود .

٤- إتباع الحلال واجتناب الحرام .

٥- العمل ينافى التواكل ولا ينافى التوكل .

٦- المسألة وحكمها .

٧- ثمرة العمل وجزاء العاملين .

٨- تفسير الآيات الواردة فى الموضوع .

٩- مراجع المبحث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : دعوة الإسلام إلى العمل وتكريم العاملين

إن كل جهد مشروع نافع مقترن بالتوكل على الله ، مادى أو معنوى ، أو مؤلف بينهما يعتبره الإسلام عملا ويعد الوسيلة الأولى للإرتزاق والدعامة الأساسية للإنتاج ، فعلى قدر عمل المسلم واتساع دائرة عمله مع اعتماده على ربه يكون نفعه وجزاؤه . يقول تعالى : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

فالعمل حق وواجب لأهميته فى إصلاح الأرض وتعميرها وفى تكوين الأموال وتنميتها . لهذا أمر الله به فى هذه الآية شريطة أن يؤمن العامل بأن الله يراقبه وسيحاسبه ويحدد له الجزاء العادل . هذا الإيمان هو الدافع الأول للعمل الذى يؤدى إلى زيادة إنتاجيته وجودته .

ومفهوم العمل فى الإسلام لا يقتصر على الإحتراف أو الإستصناع أو الإتجار ، إنما يتسع ليشمل كل عمل أو منفعة يؤديها الإنسان مقابل أجر يستحقه سواء أكان عملا يدويا أو ذهنيا أو إداريا أو فنيا (٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

(٢) النظام الاقتصادى فى الإسلام للدكتور/ احمد محمد العسال والدكتور/ فتحى احمد عبد الكريم ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا المفهوم بلا شك سيؤدى إلى نتائج منها أنه لا مفاضلة لفئة على الأخرى ، فالأصل تساوى البشر من حيث كونهم عمالا ، وشد لهم كرامتهم وإن تفاوتت قدراتهم ومزاياهم ودلالة عملهم سعة وضيقا، وأجورهم أيضا فإن العمال فى المجتمع الإسلامى ليسوا طبقة مستقلة كما يتصور ذلك أصحاب المذاهب الوضعية فلا صراع بين الطبقات ، فالكل يعمل فى ظل النظام الإسلامى ولا مكان للبطالة أو التسول .

ومن خلال قراءة ما ورد فى كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- نستنتج أن الإسلام يقدس العمل ويعلى من شأنه ويحث عليه . وقد امتن الله على العباد أن ذلل لهم الأرض وسخر لهم البحر وأجرى لهم الفلك ليعملوا ويبتغوا من فضله . وفى هذا يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

ويقول جلّ شأنه﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾(٢) .

ويقول جلّ وعلا : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) .

وقوله فى سورة النحل :﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ

---

(١) سورة النحل الآية : ١٤ .

(٢) سورة النبأ الآيات : ١٠ – ١١ .

(٣) سورة القصص الآية : ٧٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

إذاً فإن كل إنسان مطالب بالعمل فى المجتمع المسلم ومأمور أن يمشى فى مناكب الأرض ويأكل من رزق الله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢) .

ومما يدل على قدسية العمل الحلال إقترانه بالإيمان وجعلهما تجارة رابحة لها طيب الثمرات وأعظم النتائج فى الدارين قال سبحانه ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) . ثم أننا نجد أن العمل قد قرن بالصلاة التى هى الركن الثانى من أركان الإسلام ، الأمر الذى يدل على منزلة العمل والعاملين عند الله -ﷻ- قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۞ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النحل الآية : ٧٩ .

(٢) سورة الملك الآية : ١٥ .

(٣) سورة الصف الآيات : ١٠ – ١٢ .

(٤) سورة الجمعة الآيات : ٩ – ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى سورة المزمل قرن سبحانه وتعالى العمل بالجهاد فى سبيل الله ، وذلك ضمن ذكر أصحاب الأعذار الذين لا حرج عليهم فى ترك قيام الليل . قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ (١)

ولقد رفع الإسلام العمل الدنيوى المقرون بالإخلاص إلى مرتبة العبادة بصفة عامة والجهاد فى سبيل الله بصفة خاصة ، فعن كعب بن عجرة -رضي الله عنه- قال : مر على النبى -ﷺ- رجل ، فرأى أصحاب رسول الله -ﷺ- من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ، فقال رسول الله ((إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءاً ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان)) (٢) .

وبعد أن عرفنا أن الإسلام دين واقعى يدعو للعمل ويحث عليه ويرفع من شأنه . فماذا بشأن العاملين أنفسهم ؟

نستطيع أن نقول أن الإسلام نظر إليهم نظرة كلها تكريم وإكبار، فقد احترم حق العامل فى الأجر ، فهو يدعو أولا إلى الوفاء به وينذر من يجور عليه من أصحاب العمل بحرب من الله ورسوله

---

(١) سورة المزمل الآية : ٢٠ .

(٢) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى جـ٢ ص ٥٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويدعو ثانيا إلى التعجيل بأداء هذا الأجر ، والقاعدة فى الإسلام أن يكون الأجر بحسب العمل دون ظلم أو بخس ، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال ((قال الله : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة . رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)) (١) .

وقد روى ابن عمر -رضي الله عنه-أن النبى -ﷺ- قال : ((اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)) (٢) . وأن هذا الحديث يتضمن قواعد حقوقية إلزامية خلاصتها : وجوب إعطاء من يستأجر عاملاً لعمل أجره الذى يستحقه بعد قيامه به .

وأن الإسلام يلحظ فى هذا حاجة نفسية وواقعية فى حياة العامل فى آن واحد قد تخفى على الكثيرين من أصحاب العمل ، أما الحاجة النفسية فى إشعاره بالعناية والإهتمام وأن جهده مقدر ومكانه عظيم فى المجتمع مما يحفزه إلى المزيد من الإنتاج ، أما الحاجة الواقعية فلأن العامل غالبا ما يحتاج إلى الأجر ليسد به ضرورياته هو وأهله وعياله وتأخير أدائه يؤذيه ويحرمه ثمرة جهده فى أنسب أوقاتها ، وبالتالى يقلل من نشاطه ورغبته فى العمل . والإسلام حريص على أن يعمل كل من يستطيع بأقصى ما عنده من

---

(١) صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى جـ٢ ص٧٧٦ ، كتاب البيوع – باب إثم من باع حرا – مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٢ ص٣٥٨.

(٢) سنن ابن ماجة لأبى عبد الله محمد القزوينى المعروف بابن ماجة جـ٢ ص٨١٧ كتاب الرهون – باب أجر الاجراء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طاقة متمتعا بالرضى النفسى والإكتفاء المادى [١] .

ولا يخفى علينا أن الإسلام يقر تفاوت الأجر بحسب نوع وأهمية العمل إذ لا فرق فى ذلك بين أن يكون العمل دنيوياً أو أخروياً . قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [٢] .

ثانيا . العمل سلوك الأخيار

بهذه النظرية الجدية الواقعية فيما تقدم من نصوص قرآنية ونبوية نستنتج أن العمل فخر وشرف ، وليس له حدود أو قيود ما دام عن طريق حلال مشروع ، وآية تكريم العمل والعاملين أن رسول الله -ﷺ- كان قدوة حسنة وأسوة طيبة فى هذا السبيل ، فلقد عمل عليه الصلاة والسلام قبل النبوة أجيرا لأهل مكة يرعى الغنم على قراريط ((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم)) ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال ((نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)) [٣] .

فعليكم أيها المسلمون بالرجوع إلى سيرة سيد الخلق محمد -ﷺ- لتروا أن العمل عامة سلوك الأخيار وأن العمل اليدوى خاصة

---

(١) انظر العدالة الاجتماعية فى الإسلام لسيد قطب ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآية : ١٩ .

(٣) صحيح البخارى ، للبخارى ، جـ٢ ص٧٨٩ كتاب الإجارة – باب رعى الغنم على قراريط .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له دور كبير فى ميادين الإنتاج ، وبالتالى فهو مورد مالى مشروع إذا اعتمد على الكسب الحلال .

ثالثا . واجبات العامل

بما أن للعامل حقوقا ، فإن عليه واجبات لابد من تأديتها - ليتم التكافؤ بين الأخذ والعطاء وبين الجهد والجزاء- ومنها :

١) الإخلاص والأمانة فى أداء العمل :

لقد طلب الإسلام من العامل أن يتقن عمله ويخلص النية فيه ، وقد بين ذلك قوله -ﷺ- فى الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) (١) .

(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) (٢) وهذا يستوجب إتباع أدق وأحدث الوسائل العلمية فى العمل ، وأحدث الأساليب فى الإنتاج ليؤدى إلى زيادة وإتقان السلعة وتحسينها . وصدق الله العظيم إذ قال ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وكحافز على هذا الإتقان والإحسان فى العمل يقول تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (٤) ، وأيضا

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ ص٦٩ ، كتاب الإيمان - باب ما جاء أن العمل بالنية والحسبة وأن لكل امرئ ما نوى .

(٢) مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٢٥ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن العامل المسلم مطالب بأداء الأمانة على أكمل وجه فى عمله وسعيه ، لأن ذلك ضرب من احترام النعمة وتقديرها وشكر المنعم عليها . يقول جل شأنه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقد وعد الله العاملين المخلصين أن يوفيهم أجرهم مصداق ذلك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٢) .

وأن أداء هذا الواجب له ثمار طيبة يجنيها العامل الأمين المخلص فى الدارين، منها اكتساب محبة الأخرين وتقديرهم وثقتهم واطمئنان الناس فى إقترابهم منه ومخالطتهم له على أموالهم وأعراضهم ، كل ذلك يؤدى إلى تقوية الروابط الأخوية بينه وبين من يتعامل معهم فتنتشر المحبة والتسامح بين أفراد المجتمع ، وبالمقابل نرى العامل المنافق الخائن تنعكس آثار عمله السيئة عليه وعلى الآخرين، فالناس يمقتونه ويحتقرونه ويحذرون من التعامل معه ويحاربونه بشتى الوسائل ، وعمله الناقص الضار يسئ إلى المجتمع ويؤدى إلى فساد وإضطراب مصالح الآخرين .

فهذه بعض نتائج عاجلة فى الدنيا ، أما فى الآخرة فقد بشر الله العامل وأنذره وجعل كل عمل من أعماله محسوبا له أو عليه .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال جل شأنه : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) .

وبذلك فإن الإسلام يثير أقصى طاقات الفرد ومواهبه إلى خفايا العمل ودقائقه بالإحسان والجودة فيريه أنه مسئول عن أعماله صغيرها وكبيرها .

٢) الحساب والمساءلة :

إن من الواجبات التى فرضها الإسلام وأصلح بها الحياة فى شتى نواحيها واجب الحساب والمسائلة ، فإن النفس الإنسانية إذا تركت لشهواتها إنحرفت وافتتنت وآضر شيئ لها أن تأمن الحساب وتغدو بعيدة عن يد القانون الشرعية ، فيلعب بها الهوى ويوردها موارد الهلاك ، لذلك فقد أقام فيها الإسلام رقيبين دائمين وركنين قويين يكمل أحدهما الآخر ، أما الأول فهو رقابة الضمير القائمة على الإيمان بالله واليوم الآخر ، فالمسلم يستشعر فى ضميره رقابة الله -ﷻ- فيخشى عقوبته وعذابه وسخطه إن أهمل ، ويرغب فى مرضاته وجنته إن اتبع الطريق المشروع .

ولقد صور القرآن الكريم ذلك الرقيب فى صورة فريدة موجبة رائعة تهتز لها القلوب الواعية فتتأثر بها . قال سبحانه﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان : ٧ ، ٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [١] .

فهذه الآية تقرر علم الله الشامل لما في السموات والأرض ، وأنه لا يخفى عليه من الأمور شيء صغيرها وكبيرها ، وتصف قربه من عباده وسماعه نجواهم وما يكتمونه من أسرار بينهم ، في أي مكان كانوا فإن علمه سبحانه ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً . وفي يوم القيامة ينبئ هؤلاء بما فعلوه من خير أو شر ويجازي كل بحسب عمله [٢] .

فواجب المسلم أن يحتاط في أموره ويراقب الله -عز وجل- قبل الإقدام على أي عمل ، وذلك بأن يتحرى فعل الخير ويتحاشى الشر والأضرار بالآخرين . أما بعد وقوع العمل فعليه أن يعرض أعماله على شرع الله وينظر هل توافقه أم لا ؟ وأن يحاسب نفسه ، فإن كان خيراً حمد الله ، وإن قصر وزاغ على الصواب تذكر رقابة الله عليه فعاد إلى الجادة وأصلح ما أفسد وندم على تقصيره ، وعزم على عدم العودة إلى ذلك .

وهذه هي حقيقة التقوى التي يمتاز بها العامل المؤمن عن غيره ، فلو طبق المسلمون واجب الحساب والمساءلة في جميع أعمالهم لأصبحت الأمة الإسلامية على أحسن حال ، ونعم أفرادها

---

(١) سورة المجادلة الآية : ٧ .

(٢) انظر في ظلال القرآن . سيد قطب جـ٦ ص ٣٥٠٨ ، ٣٥٠٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالتعاون والتكاتف وهذا يدفع إلى تقديم العمل النافع الذى يرضى الله عز وجل .

أما الرقيب الثانى فهو سلطان الدولة ، والقانون المؤيد بشرع الله الذى يقرر مسئولية كل إنسان عما وكّل إليه من عمل ويحاسبه إن قصر أو أساء استعمال سلطته .

والتاريخ الإسلامى ملئ بالنماذج الرائعة والمواقف المشرفة التى تكشف عن مدى إلتزام ولاة الأمور بواجب الحساب تجاه عمالهم ورسول الله -ﷺ- هو القدوة الحسنة والأسوة الطيبة فى هذا السبيل ، فقد روى البحارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى حميد الساعدى -رضي الله عنه- قال : استعمل النبى -ﷺ- رجلا من الأزد ، يقال له ابن اللتبيه على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا اهدى لى . قال ((فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه ، فينظر يهدى له أم لا ؟ والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر)) ، ثم رفع يده حتى رأينا عفرة أبطيه ((اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت)) ثلاثا (١) .

ولا يختلف إثنان إن ترك المحاسبة والمساءلة وعدم عقاب المفرطين والمهملين ، بسبب المحاباة قد شجع الفساد وأضعف

---

(١) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٩١٧ ، كتاب الهبة - باب من لم يقبل الهدية لعلة ، الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٦ ص ١١ ، كتاب الامارة - باب تحريم هدايا العمال .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاقتصاد و هبط بمستوى الإنتاج ، فأخر الأمة وأضر بها ضررا بليغا [١] . فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله -ﷺ- : ((أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)) [٢] .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الرقابة الذاتية أو ما يسمى بالضمير الدينى قد اختص به العامل المسلم فقط فى حين عجزت النظم الاقتصادية الوضعية على تحقيق ذلك مهما أوتيت من وسائل وأساليب متقدمة ، لأن رقابة النشاط الاقتصادى فى ظل هذه النظم موكولة إلى السلطة العامة تمارسها طبقا للقانون ، فهى رقابة خارجية تقصر عن تحقيق أهدافها ، والشاهد على ذلك تهرب الكثيرين من إلتزاماتهم وإنحرافهم بنشاطهم الاقتصادى كلما غفلت الدولة أو عجزت أجهزتها عن ملاحقتهم ، فصاحب العمل يراقب عماله ، بينما تتولى الدولة الرقابة على العاملين لديها .

والرقباء فى تلك المجتمعات هم بحاجة إلى من يراقبهم وبذلك يدخل أرباب العمل أو الدولة فى حلقات لا تنتهى من الرقابة والتفتيش ، فى حين أن الرقابة فى الإسلام أمر ذاتى ينبعث من داخل النفس مما يجعل العامل يحسن أداء الواجب تلقائيا ، لإيمانه

---

(١) انظر النظام الاقتصادى للعسال ص ١٣٨ – ١٣٩ . العدالة لسيد قطب ص ٦٣ .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٦ ص ٢٤٩١ ، كتاب الحدود – باب كراهية الشفاعة فى حد إذا رفع للسلطان ، الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٥ ص ١١٥ ، كتاب الحدود – باب النهى عن الشفاعة فى الحدود .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالله وخشيته وإقتناعه بأن حسن أداء العمل عبادة وقربة لله فيجد فى ذلك المتعة الروحية ويشعر بالرضا والطمأنينة (١) .

هذا الضمير هو نتاج التربية الإسلامية التى تعايش كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- فتسمع لهما وتتأثر بهما . قال تعالى﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٣) .

وجاء فى الصحيحين عن حديث طويل رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- جاء فيه : قال : ما الإحسان ؟ قال : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (٤) .

٣) الوفاء بالعقود :

إن من حق كل عامل على صاحبه أن يفى بشروط عقد العمل الذى ارتبط به واتفق عليه . يقول جل شأنه﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٥) والعقود جمع عقد ، وهو الجمع بين أطراف الشئ ويستعمل ذلك فى الأجسام الصلبة ، كعقد الحبل وعقد البناء ثم

---

(١) انظر نحو اقتصاد إسلامى للدكتور شوقى الفنجرى ص ٩٨ .

(٢) سورة الحديد الآية : ٤ .

(٣) سورة غافر الآية : ١٩ .

(٤) صحيح البخارى للبخارى جـ١ ص ٢٧ ، كتاب الايمان - باب سؤال جبريل النبى -ﷺ- عن الايمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة الجامع الصحيح جـ١ ص ٢٩ كتاب الايمان .

(٥) سورة المائدة الآية الأولى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يستعار للمعانى ، نحو عقد البيع والعهود وغيرها ، وهو مصدر استعمل اسما فجمع كما فى هذه الآية .

وإذا استعمل لفظ العقود فى المعانى فهو شديد الاحكام قوى التوثيق . وقيل المراد بها فى هذه الآية هى عقود الله التى أوجبها على المؤمنين فيما أحل لهم وحرم عليهم وألزمهم فرضها ، وبين لهم حدودها ، وهذا ما رجحه الطبرى ، فقد أخرج بسنده عن ابن عباس ﷺ- فى قوله﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ قال : (ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن كله لا تقدروا ولا تنكثوا) [١] .

وقيل أنه العقود التى بين الناس فى المعاملات وغيرها من الأمور الدنيوية ، وهناك رأى جمع بين القولين وهو أن الآية تشمل الأمرين معا ، أى أن المراد بالعقود عقود الشرع فيما أحله وحرمه وفرضه ، وعقود الناس بعضهم مع بعض فى البيع والشراء والنكاح وغير ذلك ، ولا وجه لتخصيص بعضها دون بعض[٢]. وهذا الرأى الأخير أرجح والأخذ به أولى من غيره ، لأن العقد عام يتناول ما جاء فى القولين .

---

(١) انظر جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ ٦ ص٣٢ ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على الشوكانى جـ٢ ص ٤ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير أبى السعود لأبى السعود محمد العمادى جـ٣ ص ٢ ، المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهانى ص ٣٤١ .

(٢) انظر فتح القدير للشوكانى جـ٢ ص ٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والوفاء بالعقد أيا كان نوعه أمر وواجب ومأمور به فى القرآن والسنة ، وهو أداء ما اتفق عليه كل واحد مع الآخر فى العقد أداءاً كاملاً بوحى من نفسه وخشية من الله ، فقد روى كُثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف المزنى عن ابيه عن جده أن رسول الله -ﷺ- قال : ((المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)) (١) .

وقد فصلت كتب الفقه أنواع العقود المختلفة وطلبت من المسلم أن يتوخى البيان والوضوح ويحذر التدليس والكذب، فقد روى حكيم بن حزام -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو قال : حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)) (٢) .

واهتمت كتب الفقه أيضا بعلاج العقود إذا طرأ عليها ما يفسدها ويعرضها للفسخ والإنتهاء ، وعالجت كل ذلك بوضوح وتحديد ، ووضعت من القواعد ما يهتدى به فيما يستجد من عقود وأعمال استرشاداً بالآيات الكزيمة والأحاديث الشريفة التى أوجبت أن يكون التعاقد بين الناس نتيجة إرادة حرة مبعثها رضا الطرفين

---

(١) سنن الترمذى لأبى عيسى محمد الترمذى جـ٢ ص ٤٠٣ ، أبواب الأحكام – باب ماذكر عن النبى ﷺ والصلح بين الناس .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٧٣٢ ، كتاب البيوع – باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا ، سنن الترمذى جـ٢ ص ٣٥٩ ، أبواب البيوع – باب ما جاء فى البيعان بالخيار ما لم يتفرقا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو الفقهما على إتمام العقد دون تدليس أو إكراه ، حرمت الإضرار بالغير ، والمماطلة فى إعطاء الحق ودفعه ، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : ((مطل الغنى ظلم)) (١) .

هذا ، وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهد ووجوب الإلتزام به فى حدود ما أمر الله به ، وقد تكرر الأمر بذلك فى القرآن فى أكثر من موضع قال تعالى ﴿ وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ (٢) ، وقال جل شأنه ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ﴾(٣) ، وقال تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ (٤) .

٤) إتباع الحلال وترك الحرام :

إن الإسلام حينما أباح للمسلم العمل وتنمية أمواله أوجب عليه بجانب ذلك أن يكون نشاطه مشروعا وحلالا ، فعليه أن يعمل بجهد ونشاط دائبين على هذه الأرض الواسعة فهى ميدان عمله وحركته ، ويجب ألا يحد عزيمته ولا يقف أمام طموحه ورغبته فى إغتنام الفرص إلا ما حده الله -ﷻ- من حدود الحلال والحرام . قال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ ص ٨٤٥ ، كتاب الإستقراض - باب مطل الغنى ظلم .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٥٢ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٣٤ .

(٤) سورة النحل الآية : ٩١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١) ، وقال جل شأنه﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٢) ، وقوله تعالى﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣) .

وإن سعادة الإنسان فى هذه الدنيا وغناه ليس بكثرة أمواله وممتلكاته ، إنما بقناعته بالكسب الحلال المشروع وعفته عن طلب الحرام قليلا كان أم كثيرا ، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- أنه قال : ((ليس الغنى عن كثرة العرض لكن الغنى غنى النفس)) (٤) علما بأن دائرة الحلال فى الإسلام واسعة وعريضة ، أما دائرة الحرام فهى محدودة وضيقة ، وأن الأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما ورد فى الشرع حظره ومنعه .

وقد قام الدليل النقلى والعقلى على أن الشارع جاء ليحافظ على ضروريات خمس هى : الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل . وجاء فقه الحلال والحرام ليحقق الحفاظ على هذه الضروريات (٥) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٨ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٨٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٧٢ .

(٤) الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٢ ص ١٠٠ ، كتاب الزكاة – باب ليس الغنى عن كثرة العرض .

(٥) انظر الموافقات فى أصول الأحكام للحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبى جـ٢ ص ١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كان عمل يخل بها أو يهدمها أو يكون سبيلا إلى ذلك فهو محرم ، وعلى المسلم أن يتجنبه ، ومن ذلك فقد حرم الإسلام العمل فى إنتاج الأصنام والخمر وتربية الخنازير وتهيئة نوادى القمار ، وحرم العمل فى المال الذى جاء من طريق غير مشروع ، كمال السرقة والغصب والربا والرشوة والضرر والخداع .

وإن الإسلام حين شن الحرب على كل كسب مريب لم يستثن بشرا من ضرورة الخضوع لأحكام الحلال والحرام وتحرى الأرزاق الطيبة فى إقامة المعايش ، فالخاصة من الأنبياء والعامة من المؤمنين ، موقوفون جميعا عند هذه الحدود التى رسمها الله لعباده ، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -ﷺ- ((أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . فقال﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ، وقال﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك)) (١) .

فالويل لجامعى الثروات من الغصب والنهب والسرقة والرشوة والربا وإستغلال النفوذ ويل لهم من يوم يجعل الولدان شيبا .

---

(١) الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٣ ص ٨٥ ، ٨٦ ، كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا . العمل ينافي التوكل ولا ينافي التوكل

بالرجوع إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية يتبين لنا أن التوكل المطلق على الله عقيدة إسلامية ، وإن العمل واجب ديني. قال تعالى﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١) ، وقال﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢) ، وقال﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

والنصوص الداعية إلى العمل والتوكل في القرآن والسنة لاتكاد تحصى ، ودعوة الإسلام إلى التوكل لاتنافي العمل إنما تعني الجمع بينه وبين الثقة بالله سبحانه بحيث يقبل العامل على عمله من تجارة وزراعة وغير ذلك مما يتحمل الكسب والخسارة وهو مؤمن بأن الله سبحانه هو الرازق الذي لا يتخلى عن عباده . وهذا الفهم واضح تماما من قول الرسول -ﷺ- في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا)) (٤) .

والمسلم إذ يدين لله بالتوكل عليه فيجب ألا يفهم من ذلك نبذ الأسباب وترك العمل والقنوع بالهوان تحت شعار التوكل ، بل عليه

---

(١) سورة التغابن الآية : ١٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ١١ .

(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٥ .

(٤) سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي جـ٣ ص ٤ ، أبواب الزهد مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان يعلم يقينا أن التوكل الصحيح الشرعي هو المقرون بالسعي والحركة والنشاط واتخاذ الأسباب الظاهرة في العمل ، مع هدوء القلب وطمأنينة النفس والاعتقاد الجازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ولنا في رسول الله -ﷺ- أسوة حسنة ، فقد كان في حروبه الطويلة العديدة لايخوض معركة حتى يعد لها عدتها ويهيئ لها أسبابها ، فيختار حتى مكان المعركة وزمانها ويرسم الخطة وينظم صفوف المسلمين ، فإذا فرغ من كل الأسباب المادية المطلوبة لنجاح المعركة رفع يديه سائلا الله -ﷻ- ((اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)) (١) .

وقد كان -ﷺ- في أخذه بالأسباب المأمور بها يلتزم بمبدأ الشورى فيما لم ينزل به وحي وكان يطبق ذلك عمليا بين أصحابه في مجال الدين والدنيا إستجابة لقوله جل شأنه﴿ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٢) .

---

(١) صحيح البخاري للبخاري جـ٣ ص ١٠٨٣ ، كتاب الجهاد الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٥ ص ١٤٣ ، كتاب الجهاد والسير - باب كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأيضا فالأنبياء والرسل السابقون كانوا أمثلة رائعة فى هـذا السبيل ، فمع أنهم من خيرة المتوكلين على ربهم كانوا مـع ذلك يباشرون أعمالا دنيوية مختلفة أخذاً بالأسباب .

وكذلك الصحابة مع مواظبتهم على العبادات البدنيـة وثقتهم الكاملة فى ربهم كانوا يقرنون ذلك بالعمل الدائب طلباً للرزق .

إذا فلابد من العمل والتوكل معا ، وقد عبر – عليه الصلاة والسلام – عن ذلك بصراحة ووضوح فى حديث رواه الترمذى عن أنس -رضي الله عنه- أن رجلا جاء إلى رسول الله -ﷺ- ومعه ناقـة ، فقال يارسول الله اعقلها وأتوكل ؟ أو اطلقها وأتوكل ؟ قال : ((اعقلها وتوكل)) (١) ، أى اتخذ السبب المؤدى إلى حفظ الناقة ثم اترك الأمر لله .

ومما يوضح مفهوم الإسلام للتوكل وأنه لاينافى العمل إضافة إلى ما سبق ما أخرجه البخارى ومسلم عن على بن أبى طالب-رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- أنه كان فى جنازة فأخذ ينكت فى الأرض فقال : ((ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة)) فقالوا يارسول الله أفلا نتكل ؟ قال : ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له)) ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ (٢) .

---

(١) سنن الترمذى لأبى عيسى الترمذى جـ٤ ص ٧٦-٧٧ ، أبواب صفة القيامة .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٤ ص ١٨٩٠-١٨٩١ ، كتاب التفسير- باب ﴿ فسنيسره لليسرى﴾ الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٨ ص٤٦ كتاب القدر- باب كيفية الخلق الأدمى فى بطن أمه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وعلى الرغم من وضوح الدعوة إلى العمل وتكريم العاملين فى نصوص عديدة من القرآن والسنة ، فإن فئة من الناس زهدت فى متاع الدنيا وتركت العمل وأثرت الراحة وانقطعت للعبادة وطاعة الله وتعللت بالتوكل بدعوى التفويض إلى الله ، وفى المقابل نرى فئة أخرى من الماديين الذين تكالبوا على الدنيا وانشغلوا وراء طلب الرزق ، وربما تركوا العبادات طمعا فى جمع الثروات .

وموقف الإسلام من هاتين الفئتين واضح وصريح فإن كلتيهما قد ضلت طريق الحق والصواب ، ولم تحقق التوازن الدقيق بين الدنيا والآخرة ، ذلك التوازن الذى يعتبر من أهم خصائص العقيدة الإسلامية ، والذى أشارت إليه الآية الكريمة فى قوله تعالى﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ، إلا فليعلم هؤلاء وأولئك أن العمل الدنيوى إذا اتقن وصحت فيه النية وروعيت فيه أحكام الشريعة هو عبادة فى نفسه ، وإن التوكل والقعود عن السعى خلق ذميم يأباه الإسلام حيث يتعارض مع قواعده العامة فى العبادة ، فالله الذى أمرنا بالاعتماد عليه وتفويض الأمر له وأوجب الصلاة والصيام ، ودعانا للاستغفار والتسبيح والتحميد وسائر العبادات البدنية القولية منها والفعلية ، أمرنا كذلك بالسعى والعمل لكسب الرزق عن طريقه المشروع .

---

(١) سورة القصص الآية : ٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمنهج الإسلامى الصحيح والذى رسمه القرآن وأوضحته السنة ، أن يقوم المسلم بالأمرين معا ، عمل وتوكل على الله ، أى أخذ بالأسباب وفق توجيهات الشريعة ، وثقة بالله -ﷻ- وفى ذلك إتقان الأعمال وتحقيق الآمال .

أما تحقيق المكاسب والأرزاق فهو من تقديره سبحانه وتعالى يزيده وينقصه كيفما شاء له حكمته فى ذلك ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (١) ، ولو أدعينا معرفة ذلك لصرنا من الجاهلين ، يقول جل شأنه ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٢) ، ويقول جل وعلا ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣) والمؤمن يقدر فى ذلك معنى الإبتلاء من الله لعباده ، لينظر كيف يعمل كل فيما أتاه قال تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤) .

خامسا . المسألة وحكمها

ويتصل بسياسة الإسلام فى الحث على العمل نهية عن المسألة فقد روى ابن عمر -ﷺ- عن النبى -ﷺ- أنه قال ((ما يزال الرجل

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٣ .

(٢) سورة سبأ الآية : ٣٦ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢١٢ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم)) (١) .

وحول معنى المسألة يقول الراغب الأصفهانى (السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدى إلى المعرفة ، واستدعاء مال أو ما يؤدى إلى المال ... واستدعاء المال جوابه على اليد ، واللسان خليفة لها إما بوعد أو برد .. وإذا كان السؤال لاستدعاء المال فإنه يتعدى بنفسه أوبمن .. ويعبر عن الفقير إذا كان مستدعيا لشئ بالسائل)(٢) .

والرسول -ﷺ- قد نهى عن السؤال والاستجداء وطلب إلى المعدم أن يستخدم ساعده وطاقته فى اكتساب عيشه ، وبذلك فقد سلحه بإرادة العمل ، ودفعه إلى ترك العجز والإستكانة . فقد روى الزبير بن العوام أن رسول الله -ﷺ- قال: ((لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه)) (٣) .

وحينما نقرأ هذا الحديث الشريف ينبغى ألا نفسره على المستوى الأخلاقى وحده المتمثل فى وجوب تجنب المسلم ذل السؤال بكل طريق فذلك حق بلاشك ، لأن الإسلام يكره التسول

---

(١) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٥٣٦ ، كتاب الزكاة - باب من سأل الناس تكثرا ا. لجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٢ ص ٩٦ كتاب الزكاة - باب كراهية المسألة للناس .

(٢) المفردات / للراغب ص ٢٥٠ .

(٣) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٥٣٥ ، كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكافة المواقف التى تمس كرامة المسلم ، لكننا نضيف أيضا إلى هذا مستوى عمليا منتزعا من حرص النظام الاقتصادى الإسلامى على الحرص على أن تعمل كافة الطاقات القادرة على الإنتاج فى المجتمع المسلم دون تعطيل أو إهمال أو تضييع للا تكون بعض الطاقات كلا على الآخر حين تصبح - مع قدرتها على العمل مستهلكة غير منتجة .

ومن الشواهد الواضحة فى الإسلام على محاربة المسألة وتقبيحها والتحقير من شأنها إذا كانت لغير ضرورة مدح بعض الفقراء لتخرجهم من المسألة وتعففهم عنها حتى إن الجاهل بحالهم يظنهم أغنياء ، وفى ذلك يقول جل شأنه﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١) .

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال : قال النبى -ﷺ- ((ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة ولا اللقمتان ، إنما المسكين الذى يتعفف ، واقرءوا (إن شئتم) يعنى قوله تعالى﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾)) (٢) .

---

(١) سورة البقرة الاية : ٢٧٣ .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٤ ص١٦١٥ ، كتاب التفسير - باب ﴿ لا يسألون الناس إلحافا﴾. الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٢ ص٩٦، كتاب الزكاة- باب المسكين الذى لايجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه . مسند الإمام أحمد جـ٢ ص ٣٩٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد أعلن الرسول -ﷺ- فى هذا الحديث من هم أهل الحاجة المستحقون المعونة ، وذلك ليدفع القادرين إلى العمل والكسب الحلال ، وأزال من الأذهان ما يظنه البعض أن الفقراء والمساكين هم المتسولون الذين احترفوا سؤال الناس ، وتظاهروا بالفقر والمسكنة ، ومدوا أيديهم بلا خجل وهم قادرون على الكسب بالعمل المشروع ، أو الذين اعتكفوا فى المساجد للعبادة وانتظروا المساعدة من أموال الزكاة ، وأن هذا الوصف الذى أشار إليه النبى-ﷺ- ينطبق على فقراء المهاجرين وهم أهل الصفة الذين تركوا أموالهم وأهليهم وانقطعوا إلى الله ورسوله ووقفوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله ، ليس لهم مال ولا كسب ، لأنهم احصروا فى الجهاد وهم مع هذا لايسألون الناس شيئا. لكن النص عام ينطبق على من سواهم فى كل مكان وزمان (١) .

وحين يحرم الإسلام أمراً يحرم كذلك بالضرورة كل مايؤدى إليه ومن ثم فقد نهى عن البطالة لأنها تجر إلى المسألة ، لأن هذا الدين يدعو إلى مبدأ التكافل فلا يعرف المتواكل المستغل ، إنما يعرف الساعى فى سبيل رزقه ، أما ذلك المستغل فهو آكل للسحت والباطل مصداق ذلك ما روى عن قبيصة بن المخارق الهلالى قال: تحملت جمالة فأتيت رسول الله -ﷺ- أسأله فيها فقال: ((أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر بها)) ، ثم قال : ((يا قبيصة إن المسألة لاتحل

(١) انظر تفسير أبى السعود جـ١ ص٢٦٥ فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ١ ص ٣١٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة[١] فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . أو قال : سداداً من عيشى ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش . أو قال : سداداً من عيشى ، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا)) [٢] .

ومن هذا الحديث الشريف يتبين لنا أربع حقائق وهى :

١) أن قبيصة إنما سأل الرسول -ﷺ- المعونة فى آداء خدمة اجتماعية تحمل تبعتها بنفسه متطوعا ، ومثل هذا الرجل جدير أن يسأل المعونة فيما تحمل من تبعته وجدير بأن يعان .

٢) أن من حق المسلم أن يسأل الدولة المعونة فيما تباح فيه المسألة، ومن واجب الدولة أن تعينه ، فقد سأل قبيصة رسول الله -ﷺ- باعتباره رئيسا للدولة الإسلامية وأعانه الرسول -ﷺ- من الصدقة باعتبارها مورداً من موارد بيت المال .

---

(١) الحمالة بفتح الحاء : هى المال الذى يتحمله الإنسان ، أى يستدينه ويدفعه فى إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك . انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص ٨٢ .

(٢) الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٣ ص ٩٨،٩٧ كتاب الزكاة - باب من تحل له المسألة . سنن الدارمى لأبى محمد عبد الله الدارمى جـ١ ص ٣٣٤ ، كتاب الزكاة باب من تحل له الصدقة . مسند الإمام أحمد جـ٣ ص ٤٧٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣) إن الإسلام لا يبيح المسألة فى حالة الفاقة حتى يشهد ثلاثة من أهل الخبرة من قومه بأن السائل قد أصابته فاقة ، وهذا احتياط من الإسلام لقصر المسألة على المستحق وتحريمها على المحترف واشتراط العقل تنبيها على أن الشاهد يجب أن يكون يقظا ، فلا تقبل شهادة المغفل .

٤) أن السائل لا يحل له من بيت المال إلا ما يسد حاجته ، وما زاد على ذلك فحرام ، وقد عبر عليه الصلاة والسلام على هذا بقوله ((حتى يصيب قواما أو سداداً من عيش)) والقِوام والسِداد – بكسر القاف والسين – بمعنى واحد وهو ماتسد به الحاجة ومنه سداد القارورة [١] .

هذا ، وقد تعددت الأحاديث النبوية حول المسألة والنهى عنها، وهى ذات دلالة قوية ، الأمر فيها يتعدى النصح الأخلاقى إلى الإلزام ،فإن لولى الأمر أن يمنع السؤال وإتخاذه حرفة للكسب ، وذلك أولاً بالموعظة الحسنة وإيضاح عقوبة المتسولين القادرين على العمل فى الدنيا والآخرة ، وإذا لم يرتدعوا فيعاقبوا تعزيرا ، فإن كان السائل قادرا وجب عليه أن يعمل ، وإن لم يجد العمل فإن على الدولة إيجاد العمل المناسب له ، وإن كان عاجزا وجب على الدولة إعالته من بيت المال .

ولنعلم جيدا أن التسول وترك العمل هو من أسباب نشوء

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص٨٢ كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ظاهرة البطالة ، فيجب على الدولة أن تعالجها بدراسة أسبابها ، وإيجاد الحلول لها . فقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : ((الإمام راع ومسئول عن رعيته)) (١) .

ثانيا : ثمرة العمل

إن العامل المسلم إذا أدى عمله على أكمل وجه بما يرضى الله سبحانه وسلك الطريق المشروع للكسب ، فإنه بلاشك سيحصد ما زرعه ثمارا يانعة عاجلة وآجلة ، أما العاجلة فهى الثمرة الدنيوية والدينية ، فالإسلام قد زكى حافز العمل وقواه حينما غرس فى نفس المسلم كراهة السؤال تربية له على علو الهمة وعزة النفس وكرامتها ، والترفع عن الدنايا ، وبذلك هيأ النفوس البشرية الصالحة للإنتاج وتنمية الثروة ، مصداق ذلك ما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة ((اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هى المنفقة والسفلى هى السائلة)) (٢) .

والرسول -ﷺ- حينما صور اليد الآخذة بالسفلى والمتعففة

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه جـ١ ص ٣٠٤ كتاب الجمعة - باب الجمعة فى القرى والمدن .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٥١٩ كتاب الزكاة - باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى . مسند الإمام أحمد جـ٢ ص ٣٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعطية هى العليا إنما قصد من وراء ذلك تعليم المسلمين أن يعودوا أنفسهم على الإستعفاف ليتصدوا بالتالى عليها وليسلكوا الطريق المستقيم .

ولا يخفى على أحد أن العمل سيدر على صاحبه ربحا وفيرا يستطيع من خلاله إشباع حاجاته الأساسية وتحقيق الكفاية له ولأفراد أسرته ، فالعمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر ، وهو السبب الأول لجلب الثروة ، وهو العنصر الأول فى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان والمسلم بعمله الصالح يكون قد قام بعمل أخلاقى تعاونى ، فنفع عباد الله وسد حاجاتهم وحقق الخير والرفاهية لمجتمعه .

ومن ثمار العاجلة النفع الدينى الذى سيعود أثره على الأمة الإسلامية ، فمن ذلك الإستعانة بالمال على طلب العلم والرحلة فى سبيل تحصيله، وأداء فريضة الحج حيث لاتجب إلا على المستطيع، وبالعمل المثمر تستطيع الأمة أن تنشئ العديد من المشروعات النافعة ، كالمساجد والمعاهد والمستشفيات ورعاية الفقراء والمساكين وذوى العاهات .

ومن أهم وأنفع تلكم الثمرات التزود بالقوة المادية فى إعداد الجيوش لمحاربة الأعداء ، دفاعا عن الإسلام وحماية لمقدساته ، حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن من الواجب على المسلمين فى كل مكان وزمان أن يمتلكوا أكبر قدر ممكن وعلى أعلى مستوى من الوسائل العلمية الحديثة المتطورة مادية كانت أو معنوية فى كل الميادين حتى يستطيعوا أن يعتزوا بدينهم فى كل العصور إستجابة لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١) . وقد أخرج مسلم عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله -ﷺ- وهو على المنبر يقول ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، إلا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى)) (٢) .

ولفظ القوة فى الآية كما فسر بالرمى فى الحديث المشار إليه يمكن أن يتسع فيشمل القوة المادية والمعنوية وهى قدرة الأمة على حمل رسالتها إلى كل الشعوب من إعداد العدة وتوفير السلاح ، وتدريب الرجال على الشجاعة، ومواجهة الأعداء، وتحصين الثغور لهدف واحد وهو الجهاد فى سبيل الله لحماية الإسلام ، كى لا تبقى الأمة الإسلامية منهكة فى طلب تجارتها وأموالها ، فإذا داهمها العدو أخذت تعد وتدرب وتطلب السلام وأنى لها ذلك وقد فات أوانه .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

(٢) الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٦ ص ٥٢ كتاب الامارة - باب فضل الرمى والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما الثمرة الآجلة فهى فى الآخرة ، فكما أن المسلم يثاب فى الدار الباقية على العبادة البدنية التى بينه وبين ربه من صلاة وصيام وحج فإنه أيضا يثاب على العمل الصالح أيا كان . قال تعالى﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١) ، وقوله جل شأنه﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (٢).

وقال النبى -ﷺ- فى الحديث الذى رواه أنس -رضي الله عنه- ((ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)) (٣) .

وبما أن إرادة العمل شئ فطرى فى نفسية الإنسان بحكم حاجته إلى ما يلبى رغباته فإن الإسلام يأتى إلى هذه الإرادة فيشحذها ويدفعها إلى تحقيق أعظم ما عندها وذلك حينما يغرس فى نفس المسلم أن الكسب الطيب الحلال جزء لا يتجزأ من إيمانه ، وأن عليه أن يسعى ويكد فى سبيل ذلك . قال جل شأنه﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة الكهف الآية : ١٠٧ .

(٣) صحيح البخارى للبخارى جـ٢ ص ٨١٧ كتاب المزارعة - باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ، الجامع الصحيح للإمام مسلم جـ٥ ص٢٨ ، ٢٩ . كتاب البيوع - باب فضل الغرس .

(٤) سورة النحل الآية : ٩٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعن عائشة – رضى الله عنها – عن النبى -ﷺ- أنه قال : ((من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له)) (١) ، ورسول الله -ﷺ- دعا إلى احترام العامل الذى يسعى من أجل كفاية نفسه وأهله وأغناء مجتمعه حتى أواصل قيمة هذا العمل إلى درجة الجهاد فى سبيل الله . فقد روى أبو هريرة عن النبى-ﷺ- أنه قال ((الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار)) (٢) .

رابعا : تحليل الآيات

أن الآيات الخاصة فى مبحث العمل عديدة وهى كما سبق ان عرفنا ذلك تدور حول عدة أغراض بعضها فى الدعوة إلى العمل وأنه سلوك الأخيار ، وأيضا أنه لاينافى التوكل ، وأيضا واجبات العامل والمسألة وحكمها ، وبعضها الآخر بكشف عن ثمرات العمل وقد رأيت فى هذا الجانب أن أعرض لتحليل الآيات الهامة فى هذا المبحث . فنقول وبالله التوفيق :

١) الآية رقم ١٠٥ من سورة التوبة قال الله تعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٢ ص ٥٢٤ كتاب البيوع . الترغيب فى الإكتساب وغيرها .

(٢) صحيح البخارى للبخارى جـ٥ ص ٢٠٤٧ كتاب النفقات - باب فضل النفقة على الأهل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

المناسبة : الآيات السابقة تحدثت عن ندم وتوبة المتخلفين فى غزوة تبوك ، وفى هذه الآية يتوجه الخطاب إليهم بالقيام بالعمل الصالح لأنه محك الصدق فى توبتهم ، وهذا هو المنهج الإسلامى عقيدة وعمل (١) .

وقوله﴿ وقل اعملوا﴾ المخاطب فى قوله﴿ قل﴾ هو الرسول -ﷺ- والمخاطبون فى قوله﴿ اعملوا﴾ هم المؤمنون الذين اعترفوا بذنوبهم من المتخلفين عن غزوة تبوك (٢) .

وهذا بالأصالة من حيث أن الآيات السابقة كانت معهم وفى شأنهم ، عير أن الخطاب موجه كذلك بالتبعية إلى سائر المؤمنين فى كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ، وفى هذا الأمر زيادة ترغيب لهم فى العمل الصالح . ظاهره ترخيص ، وباطنه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد (٣) .

قوله﴿ فسيرى الله عملكم﴾ أى خيراً كان أم شراً ، وهذه الجملة تعليل وتأكيد لما قبله﴿ ورسوله﴾ عطف على لفظ الجلالة ، وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت (٤) .

---

(١) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ٣ ص ١٦٠٨ .

(٢) انظر تفسير الطبرى لابن جرير جـ١١ ص١٦ تفسير أبى السعود جـ٤ ص١٠٠ .

(٣) انظر تفسير أبى السعود جـ٤ ص ١٠ تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب م٨ /جـ١٦ / ص١٩٢ فتح القدير للشوكانى جـ٢ ص ٤٠٠ .

(٤) تفسير أبى السعود جـ٤ ص ١٠٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿المؤمنون﴾ أى فإن أعمالكم غير خافية عليهم . فإذا اريد بالرؤية معناها الحقيقى فهذا ظاهر ، وأن أريد بها مآلها من الجزاء خيراً أو شراً فهو خاص بالدنيوى من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل ونحو ذلك ، وإن كان معصية حصل له الذم (١) .

فقد روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال ((لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان)) (٢) .

﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وفى الآخرة فإن الأعمال ستعرض على الله -عز وجل- ، وعالم الغيب والشهادة الذى لاتخفى عليه أعمال البشر ظاهرها وباطنها كما قال جل شأنه : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (٣) .

﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ أى قبل ذلك فى الدنيا ، والمعنى فيجازيكم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر .

لذا فإن على المسلم المبادرة بالأعمال الصالحة وإتقانها والإخلاص فيها وطلب الرزق الحلال ، ومراقبة الله العليم بالنيات والمقاصد ، وابتغاء مرضاته والنفع العام للمسلمين .

٢) الآية رقم ١٥ من سورة الملك﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ

---

(١) المرجع السابق تفسير الفخر الرازى م ١٨/ جـ١٦ / ص ١٩٢ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٢٨ .
(٣) سورة الحاقة الآية : ١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ .

المناسبة : هذه الآية مع سابقتها من مطلع هذه السورة الكريمة تكشف عن دلائل وحدانية الله -ﷻ- ، وانه سبحانه هو المستحق للعبادة دون سواه ، وإذا كان قد تخلل فيما سبق وعد ووعيد فإنما ذلك لبيان مصير الفريقين المصدقين بتلكم الدلائل والمكذبين بها (١) .

وقوله﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾ الذلول فى الأصل هو المنقاد الذى يذل لك ولا يستصعب عليك (٢) ، والمعنى : جعلها لكم لينة سهلة الاستقرار ساكنة تميد ولا تضطرب ، حيث سلك الله فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، ومكن من شق العيون والأنهار وحفر الآبار .

قوله﴿ فامشوا فى مناكبها﴾ الأمر هنا للإباحة ، وقيل خبر بلفظ الأمر ، وأصل المنكب الجانب ، ومنه فمنكب الرجل أى مجتمع ما بين العضد والكتف ، وقد استعير للأرض ، ومنه الريح النكباء لأنها تأتى من جانب دون جانب (٣)، والمراد بقوله﴿ مناكبها﴾ أى :

---

(١) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين عبد الله البيضاوى جـ٢ ص٤٩١

(٢) انظر تفسير الطبرى لابن جرير جـ٢٩ ص ٥ ، تفسير أبى السعود جـ ٩ ص ٧
تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشى جـ ٤ ص ٣٩٧ لسان العرب لابن منظور م ١ ص ٧٦ مادة (ذلل) .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور م ٣ ص ٧١٣ مادة (ذلل) ، المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٥٠٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جوانبها وأطرافها ونواحيها وجبالها [١] .

ونلاحظ من هذه الآية دقة الألفاظ ودلالتها على المعنى المقصود ، فقوله﴿ مناكبها﴾ مثل لفرط التذليل ، فإن منكب البعير أرق أعضائه وانباها عن أن يطأه الراكب بقدمه ، فإذا أذن له فى المشى فى مناكبها فإنه من باب أولى أذن له بالمشى فى سهولها وبطاحها [٢] .

قوله﴿ كلوا من رزقه﴾ الرزق هنا يتسع مدلوله فيشمل المال الذى يجده الإنسان ليحصل على حاجاته ومتاعه ، وكل ما أودعه الله فى هذه الأرض من أسباب الرزق .

قوله﴿ إليه النشور﴾ أى إليه وحده البعث من قبوركم ، وفى هذا وعيد شديد للجاحدين بوحدانيته المكذبين بآياته ، فعلى الإنسان أن يبالغ فى شكر الله على ما أنعم عليه لينال الجزاء الأوفى يوم القيامة .

هذا ، والقرآن الكريم فى كثير من آياته يذكر الإنسان بأنعم الله التى لاتحصى ، وهذه الآية التى بين أيدينا فيها نعمة جليلة طواها نسيان الإنسان لطول عيشه فى هذه الحياة ، ألا وهى نعمة تذليل الأرض وتسخيرها لنا .

---

(١) انظر تفسير الطبرى لابن جرير جـ٢٩ ص ٥ تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٤ ص ٣٩٧ .

(٢) انظر تفسير البيضاوى جـ٢ ص ٤٩١ ، تفسير أبى السعود ص٩ ص ٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد وردت هذه الآية فى معرض الحث على طلب الرزق الحلال وهى تنص على تمهيد الأرض وخلوها من كل عقبة يتعلل بها الكسالى ، فهى مذللة للسير فيها بالقدم ، وبالفلك التى تمخر البحار ، ومسيرة للجنى والحصاد ، ومنقادة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة . وهذا ظاهر الوضوح وخاصة فى هذه الأيام حيث لم يترك بنو آدم ضربا من ضروب الانتفاع إلا وسلكه ، فصهر المعادن وفتتت الذرات ، واكتشف أسرار الكائنات ، وغاص فى أعماق البحار وطار فى أجواء الفضاء [١] .

والآية الكريمة تأمر الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، وتأمره كذلك فى الوقت نفسه أن يتوكل على ربه ، إذ الرزق منه وحده وهو خالق الأسباب والمسببات .

(١) انظر فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٦ ص ٣٦٣٧ - ٣٦٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مراجع البحث

١) القرآن الكريم

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى بتفسير أبى السعود .

٣) تفسير القاضى للبيضاوى .

٤) التفسير الكبير للفخر الرازى .

٥) الترغيب والترهيب للمنذرى .

٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

٧) جامع البيان المسمى بتفسير الطبرى .

٨) سنن الترمذى .

٩) سنن ابن ماجه .

١٠) شرح النووى على صحيح الإمام مسلم .

١١) صحيح البخارى .

١٢) صحيح مسلم .

١٣) العدالة الاجتماعية لسيد قطب .

١٤) فتح القدير للشوكانى .

١٥) لسان العرب للفيروزآبادى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٦) فى ظلال القرآن لسيد قطب .

١٧) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى .

١٨) الموافقات للشاطبى .

١٩) مسند الإمام أحمد .

٢٠) النظام الاقتصادى للدكتور/ أحمد العسال والدكتـــور/ صبحـــى أحمد عبد الكريم .

٢١) نحو اقتصاد إسلامى للدكتور/ شوقى الفنجرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner